الأنـــا المثالـــي ومثـــال الأنـــا فـــي الساحـــات العربيـــة

"سوريـــــا نموذجـــــاً"

www.arabpsynet.com/documents/DocMarselenaEgoIdeal.pdf

د. مرسلينـــــا شعبـــــان حســـــن
مجلة نفسية - سوريا
mar-selena@hotmail.com

جميع المتحاربين، من أي جهة كانوا نراهم يذهبون ضحية على مذبح الأب المثالي المتخيل، /الأنا الأعلى الذي لا يقبل النقد / سواء كانوا فاعلين بالحدث، أو ممن أصابتهم نكبات من جر

والعنف في النهاية هو تعبير عن غريزة الموت، بالمعنى النفسي التحليلي

المثالية في مفهومها الإيديولوجي ، تعزز العنف المميز سواء في الاستهداف الفئوي / الذي يوحي بتصنيف عنصري، أو في الحرب ضد العنف والإرهاب الذي يؤدي إلى ارتكاب العديد من الجرائم ضد الإنسانية، وتحت شعار الحفاظ على القيم الإنسانية، لكن جميع المتحاربين، من أي جهة كانوا نراهم يذهبون ضحية على مذبح الأب المثالي المتخيل، /الأنا الأعلى الذي لا يقبل النقد / سواء كانوا فاعلين بالحدث، أو ممن أصابتهم نكبات من جرائه.. إن ما نجده اليوم في الساحات ، والشوارع العربية الملتهبة بصوت الشباب ، وبالأخص في سوريا ، صور تشبه أحلام يقظة ، من كون الأهداف التي يتم المطالبة بها ، هي حلول متخيلة لمشاكل واقعية ، وذلك من كون البنية المؤسسة عليها غير متحققة ، ومن ذلك فإن البناء على الفراغ ، هو بناء حالم ..... ولكن رغم ذلك الإيمان بالفكرة ، يولد الإرادة لعيش المفهوم ، وتهيئة الظرف المهيئ لإنشاء التسوية ، ..

في سوريا في الأيام الأخيرة ، نجد أن البلد دخل في صراع مميت ، صراع الإنسان السوري مع أخيه الإنسان السوري من موقع آخر، نجده يستبيح دمه في أعمال إرهابية، وليس للدفاع عن النفس والناس، وأقصد هنا الكمائن التي تنصب للجيش النظامي، و بالطرف الآخر للمنشقين عن هذا الجيش، حيث كل طرف مدفوع بقيم مرجعية تبرر له فعلته، وتجعله متكيفاً مع سوء ما فعل، والغاية من ذلك عملياً هي التبرير لنفسه، أمام المثال الذي يذعن له ويدين له بالولاء ..... هذا الانقسام الذاتي الذي حصل في جسد البلد، هو ما سوف يفتح المجال للاعتراف بالآخر المختلف، حتى لو عن طريق محاربته، هو اعتراف سلبي لاشك في ذلك.. وأعمال العنف التي من جرائها، سمعنا بموت العشرات من السوريين في الأيام الماضية، ومن مصادر مختلفة تؤكد وصول العد لمئتي شخص، قضوا نحبهم في عمليات، وكمائن لا طائل منها سوى الإستجرار، لمزيد من الحنق والغضب، واستثارة الشارع الذي بات يتماهى بالموت ليرضي ضميره، وذلك من خلال عناوين مختلفة الإضراب، العصيان المدني، قطع الكهرباء والاتصالات، وفقد بعض السلع، وارتفاع أسعارها، وهذه الأعمال والممارسات على الأرض ، لها اسم واحد هو/ العنف / ، والعنف في النهاية هو تعبير عن غريزة الموت، بالمعنى النفسي التحليلي، وهذه الأفعال والممارسات جميعها، تهدف إلى إحياء المثال الأعلى، كي يحميه كل طرف من الخصاء الرمزي، سواء ممن يتحاربون، أومن خلال ممارسات النظام ووسائله في تدبر واقع الحال على الأرض السورية للصامتين، من كونهم يدفعون تبعات ما يحصل على الأرض من تراجع في أعمالهم، وغلاء في أسعار حاجاتهم، ومرات إلى فقدان هذه الحاجات، أو احتكارها للتحكم بالأسعار،..

القدسية لا تحتمل التغيير أو التبديل ولا حتى التسوية ، من هنا تبرز العنجهية السياسية، وعدم الاعتراف بالاستكانة أو التراجع عن الخطأ،

فمما لاشك فيه أنه ،عندما يجتمع مقدسين سيكون العنف ثالثهما ، حيث من صفات المقدس أنه لا يقبل التسوية ، ولا التنازل

السؤال الذي تردد في ذهني كثيراً في الآونة الأخيرة ، ما حاجتنا إلى المثاليات والمثل، في بلادنا العربية في الوصول إلى الحكم، والخضوع لهذا المثال سواء كان

وما الكلام الذي يسمع ممن نشاهدهم على الشاشات، سواء ممن يتحدثون دفاعاً وتأيداً للنظام، وكذلك ممن هم من المعارضين الأشداء له، **كل ذلك ما هو إلاّ تعبيرعن خصاء كل طرف للآخر بالكلام** ، وهذا هو الخصاء الرمزي، حتى يتم تفريغه من مضمونه، وحتى الفكرة التي يدافعون عنها المعارضون تخرج مرات عن سياقها العام، الكلام عن الديمقراطية ، وقبول الاختلاف وقبول الأقليات، والدم السوري ينزف، ما هو إلاّ عبودية للكلمة وجمود حولها، وذلك الدفاع المبالغ فيه عن النظام وتأكيد ديمومته، كلاهما عنف لفظي، من كونه ليس له أرضية على الأرض، من يجعلني أعيش حلم هو يعنفني إن لم أجد لكلامه أثر على الأرض، ولو اختلف السياق والدرجة، شعارات المعارضة براقة، وكلام المؤيدين مستفزة، ما يهمنا على الأرض من ينطق باسم الواقع السوري ..... وتفسير هذا اللغو الحاصل على الشاشات، ما هو بتقديري إلاّ مكابرة، سببها الخوف من الخصاء، الذي لا يعادله خطر، وفق المعنى النفسي التحليلي، ويشكل سطح المخاوف المتخيلة، لقد اعتبر "فرويد" أن الخصاء أكبر صدمة يواجهها الإنسان في حياته، أي بمفهوم آخر يشكل المتخيل الحد الأقصى للمآسي، وكي يخرج من عقدة الخصاء، يجب أن يؤدي دينه الرمزي أي التضحية، الذي تجلب له في النهاية المتعة ، وذلك من خلال وصوله إلى حدود لا يتجاوزها، حتى أفكار الموت تدخل في هذا الإطار، فهناك من ينكر الموت، ويعيش في استمتاع لا متناهي، وهناك من يدرك أن الموت حدّ لا يمكن تجاوزه، ويترك للآخر الوعد في هذه المتعة اللا متناهية بالمناداة بوقف نزيف الدم.

بالإضافة إلى مزاودة المؤيدين في التمسك بشرعية الرئيس المستندة لشرعية والده حافظ الأسد، وهم بذلك يحولون الأب الميت إلى صنم، وذلك بإعتباره مثال أعلى يعبد، وتقدم له الطاعة، واعتباره نموذج لرجل لا يطاله الخصاء، على اعتبار أن متعته كانت دون حدود، خارج حدود الخصاء، فهو الأب المثالي وذلك لكونه ميت، وهذه العبودية للأب المثالي / مثال الأنا ، أي الأنا القدوة ، ومن أحق بالتمثل بالأب أكثر من الابن... من هنا يصبح القائد البديل للأب المثالي ، يتمتع بصفة قدسية ، تضاف لموقعه الرمزي، وكما تعلمون القدسية لا تحتمل التغيير أو التبديل ولا حتى التسوية ، من هنا تبرز العنجهية السياسية، وعدم الاعتراف بالاستكانة أو التراجع عن الخطاء، حتى ليبدو النظام السياسي لدينا وكأنه معصوم عن الخطأ، وبذلك نجد الموالين للنظام يبدون الطاعة والإذعان ضمن نظام يحقق تضامنهم وتماسك جماعتهم وذلك فيما يشبه علاقة روحية متسامية ، مستعدون للاستماتة حباً في الدفاع عن هذا الولاء ، ومن هنا درج الوصف في سوريا لمؤيدي الرئيس "بشار الأسد" بأنهم // منحبكجية // كناية للحب المميت، وشعاراتهم التي تردد تؤكد ذلك، من مثل / شهيد ورا شهيد غير الأسد ما بنريد / .....الاستعداد

فمما لاشك فيه أنه ،عندما يجتمع مقدسين سيكون العنف ثالثهما ، حيث من صفات المقدس أنه لا يقبل التسوية ، ولا التنازل. تقديس أهداف الثورة ،وتقديس الرئيس بشار الأسد من قبل أتباعه ، مما يعطيهم مبرر أخلاقي للموت في سبيله، وهذا ما يسمع كثيراً من خلال الصيحات التي تردد في مسيرات المؤيدين بالروح بالدم نفديك يا بشا، لما الفداء ، فهو أخ لهم ابن بلدهم حاله كحالهم إنسانياً، أو الصيحات الأخرى التي تقول: "يا بشار لا تهتم نحن رجالك /بنشرب/ دم" ، الإنسان الذي يقدر على شرب دم بشري ولو بالكلام، أو أكل لحمه، / أقصد النميمة بما ليس هو فيه / وهذا ما أكثر مشاهدته في أيامنا هذه، من التعرية العلنية بالكلام من كل الأطراف، لحد يصل إلى، إلقاء الجنايات عليه / من خلال توريطه بالكلام، كل ذلك بتقديري ما هو إلاّ تعبير عن خوف، ابتلاع الدم، أو أكل لحم الخصم، ما هو انعكاس لاحتمالين: الأول : استمتاعاً به، كونه صار متمثلا به حتى لا يخيفه، والثاني : اندماجاً

به تطهيراً لمساوئه ، **من هنا يصبح الرمز** المقدس **في متناول كل إنسان ، من خلال قدسية الانتماء للقائد معادلة لقدسية الانتماء للدين** . كما إن الدفاع عن سوريا باسم الدين، حيث يصبح التقسيم الحدودي بينهما، على أساس المثال الأعلى، سواء من خلال المثال الديني، أو المثال الدنيوي المتمثل برأس النظام السلطوي، وفي الحالين لا وجود لوسيط بينهما، فكلما يزيد التنافر في الرؤيا بينهما، كلما تزيد حدة القتال إلى درجة أن الفارق يتضاءل حتى يصل إلى الهوية التي تصبح قاتلة، وهذا ما صرنا نسمعه في أكثر من مكان القتل على الهوية ..

ما يسعني أن أقوله في مقالي هذا والذي حرضني على كتابته، هو السؤال الذي تردد في ذهني كثيراً في الآونة الأخيرة ، ما حاجتنا إلى المثاليات والمثل، في بلادنا العربية في الوصول إلى الحكم، والخضوع لهذا المثال سواء كان قائداً أو عقيدة ؟

ويأتيني الجواب من أن دور القائد أو المثال الأعلى، الذي يسعى له كل شخص كيفما كان موقعه، هذا المثال الذي يردد / الرجوع للدين الحنيف، وتطبيق الشريعة في الحكم، الولاء للقائد، الديمقراطية بمعنى التناوب على الحكم، ومسؤولية الحاكم أما محكوميه، بمعنى آخر، المثال الأعلى : الذي يحظى بثقة أتباعه، حيث لا حدود له في التضحية والفداء، من هنا يحدث الشرخ الاجتماعي من جهة الجماهير، التي تؤيده وتدين له بالحب والوفاء " الليلة وأنا أجد على شاشة التلفزيون السوري كلام الناس في ساحة الأمويين، وأسمع ما يقولونه أمام الكاميرا، بقيت عبارة تكلمت بها شابة جميلة محجبة قالت / بلا الأسد ، ما في سوريا /. هذه الشّرطية القسرية إن دلّت على شيء تدلل على الإعلاء للرمز لدرجة تجعله يسقط بمفرده / ومثلما يقال : كلام حق يراد به باطل / لاشك إن سماع هذا الكلام من معارضين، أو أشخاص ثائرين لدم أبنائهم وأعراضهم وأموالهم، كمن يرش الزيت على النار، أو كلام أحد المتحدثين وعدة منهم بأن حكم بشار الأسد، باقٍ مادامت الشمس تشرق من الشرق، وكلام مثل هذه الشابة، وهؤلاء المتحدثين عن النظام، يقنع النظام أن هناك محبين، حيث لا توجد سلطة نافذة تعمل بذاتها، من دون أن تكون مدعومة بحب معين، ومن جهة أخرى هناك الجمهور الآخر، الذي يجد نفسه غير ملزم لا بالحب، ولا بأحادية السلطة والقيادة. حيث في حال وقع المحظور أي الحرب المتمثلة بالموت على الأرض، فإن منحى الإلغاء يصعب الفصل هنا بين القائد المثالي وبين مثال القائد ، حيث توجد الازدواجية التي تؤدي إلى العداء المستشري، لحد الإلغاء الجسدي للآخر بقتله والتمثيل بجسده، وكأنه جماد يسقط عنه صفة الحياة والبشرية، لأن في هذا الإلغاء راحة وهروب من عذاب الضمير، بالهروب من مواجهة الأمر، إلى شطبه والتعامي عن فعلته. وبذلك يصعب الفصل هنا بين القائد المثالي، وبين مثال القائد، فالمؤيدون في سوريا، مثلهم الأعلى هو الرئيس بشار الأسد "إله مقدس" عاجزون عن رؤية عيوبه وانتقاده، بل التبرير موجود دائما بكل طواعية ورضا: الم يقل الشاعر العربي : وعين الرضى عن كل عيب كليلة .....

وهم مثال القائد من حيث مبادلة الحب بالحب ، والتمسك بالسلطة ، تلبية لرغبتهم ومطلبهم هو إسقاط ثنائي عاكس ... وبذلك لابد من طرف ثالث ، يفتح الباب على مؤثر آخر لتتعادل الرؤيا ويستقيم القول .. وفي المقابل الطرف الآخر من الثوار، والمعارضين يصل العداء الذي يستشري في قلوبهم، إلى حد الإلغاء الجسدي، والمناداة بإعدام الرئيس، وإطلاق صيحات السخرية على شخصه، إذ بذلك موت رمزي ، وشرعي له في حياتهم ..... وبذلك يغدو المشهد السوري اليوم شديد التعقيد فعلاً ، إذ كلما زاد التنافر في الرؤيا بين الثوار على الأرض من جهة وبين المعارضين من جهة أخرى ، وبين النظام وتابعيه ورموزه في الطرف المقابل ، ما نجده هو زيادة في حدة القتل ،وهذا ما يحصل اليوم على

قائداً أو عقيدة ؟

فالمؤيدون في سوريا، مثلهم الأعلى هو الرئيس بشار الأسد "إله مقدس" عاجزون عن رؤية عيوبه وانتقاده

وبذلك يغدو المشهد السوري اليوم شديد التعقيد فعلاً ، إذ كلما زاد التنافر في الرؤيا بين الثوار على الأرض من جهة وبين المعارضين من جهة أخرى ، وبين النظام وتابعيه ورموزه في الطرف المقابل ، ما نجده هو زيادة في حدة

..... وهذا ما

يستدعي تدخل إسعافي لتسوية المعادلة السورية، من قبل طرف ثالث شاهد موضوعي

الأرض السورية ، مما يستوجب إقامة جدار عازل بين الأنا أو النحن المشابه للأنا ، وبين الآخر الهم ، فكيف يتم الحفاظ على الهوية السورية في النهاية لهذه الجموع ، أي يرتضي كل طرف هويته ، وانتماؤه الخاص ، مما يبقي العداء قائم لكل من يختلف عنه ، أو لا يدين لنفس الطوطم ، وهذا الأمر يؤدي في نهاية المطاف إن استمر هذا الشرخ قائم ، إلى ما هو أشبه بحالة هذيانية ، بحيث كل طرف يُهذي بما لديه، مستثنياً الآخر المختلف..... وهذا ما يستدعي تدخل إسعافي لتسوية المعادلة السورية، من قبل طرف ثالث شاهد موضوعي، وهذا عشمنا بالمراقبين العرب ، ودخول قنوات الإعلام للأخذ بالأمور بواقعية ، يلزم كل طرف تحسس المَصاب الذي حل في البلد ، وعندها لابد للحل من التلحل أوالاقتراب منه ، رغم الخسارات الكبيرة في كل شيء .....

دمشق 20- 12- 2011م

د . مرسلينا شعبان حسن / سوريا

مجلة نفسية / عضو المركز العربي للأبحاث النفسية والتحليلية
mar-selena@hotmail.com

***** *****

"مراسلات الشبكة" على الفايس بوك
http://www.facebook.com/Arabpsynet

التأثيرات اللاشعورية لأفعال الكلام
www.arabpsynet.com/documents/DocMarselenaUnconscEffectsActs&Speech.pdf
د . مرسلينا شعبان حسن

"النرجسية المميتة أحد اهم سمات الديكتاتور"
www.arabpsynet.com/documents/MarselenaNarcissismDictator.pdf
د . مرسلينا شعبان حسن
mar-selena@hotmail.com

***** *****

اكتوبر 2011: شهر "السير العلمية"

نأمل منكم إثراء قاعدة بيانات "السير العلمية" لشبكة العلوم النفسية العربية" بتكرم ارسال بيانات سيرتكم العلمية من خلال ارتباط **النموذج** التالي:
http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm

البحث في قاعدة بيانات السير العلمية
أطباء نفسانيون : www.arabpsynet.com/CV/default.asp

خصائيوا و اساتذة علم النفس: www.arabpsynet.com/CV/defaultPsychologists.asp

"مراسلات الشبكة" على الفايس بوك
http://www.facebook.com/Arabpsynet

Arabpsynet
Subscribe To APN
http://www.arabpsynet.com/Subs.asp
Arabic Edition
http://www.arabpsynet.com/defaultAr.ASP
English Edition
http://www.arabpsynet.com/defaultEng.ASP
French Edition
http://www.arabpsynet.com/defaultFr.ASP